15ème Année No. 733

Lundi — 21 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢١ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأدب بين الوجدان والتفكير

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . إن القارىء يفهم من بعض الكتب الحديثة أن الأدب فن ، والفن يختص بالوجدان، فعلى ذلك ماذا يكون حكمنا على الإنتاج الذى يغلب عليه الطابع الفكرى ؟ أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة ، ولكم وافر الشكر والسلام .

فتحى السمان محمد

***

إذا قلنا إن الأدب « يختص » بالوجدان فى هـذا القول جانب كبير من الصواب .

ولكننا إذا قلنا هذا وسكتنا عليه فقد يفوتنا أكثر الصواب ، وكأننا لم نقل شيئاً يجمع الفائدة من المعنى المقصود فى هذا الباب .

فأى وجدان هو هذا الوجدان الذى يعتمد عليه الأدب أو يعتمد عليه الفن أو الفنون على التعميم ؟

إن الإنسان المعجى له وجدان وشعور ، ولكن وجدانه يكتفى بما يكفى غريزة الحيوان أو يزيد قليلا على غريزة الحيوان .

والإنسان « السوى » له وجدان وشعور ، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره على عقول الكثيرين أو الأكثرين فليس شرط الوجدان أن يكون مقصوراً على أجهل الناس وأعجزهم عن التفكير .

لأننا لا نرادف بين معنى الجهل ومعنى الوجدان فى اللغة ولا فى مصطلحات الفنون والعلوم .

***

هذه حقيقة من الحقائق التى يحسن بنا أن نحضرها فى أخلادنا حين نعرض لحديث الفن والوجدان .

وحقيقة أخرى ينبغى أن نحضرها فى أخلادنا أبداً لأن إغفالها يفسد كل تعريف مفيد فى هذا الباب ، وهى أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير ، وشاهدنا على ذلك أدب الفحول من شعراء الأمم العالمين ، ومنهم أمثال شكسبير وجيتى والخيام وأبو الطيب .

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة فيهم يجعلها أقمن بالصدق على الأدباء الناثرين .

فأغانى شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التى يمتزج فيها الفهم بالشعور ، ودع عنك قصائده التى نظمها فى الروايات أو أجراها على ألسنة الرجال والنساء . فإن شعر الأغانى أحق شعره أن يقصر على « الوجدان » إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير .

وقصة « فاوست » الكبرى — وهى أعظم أعمال جيتى — هى فلسفة الحياة والبقاء ، وفلسفة الخير والشر ، وفلسفة المعرفة والضمير .

وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق أو معادلات الرياضة والكيمياء.

ورباعيات الخيام يصح أن تسمى « فكر الخيام » لأن الرباعية منها تدور على فكرة أو خلاصة أفكار ، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين .

والحكم على المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات .

وليس في قصائد المتنبي قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها ، أو إنها وجدان بغير تفكير .

ومن أمثلة ذلك هذه « القضية » التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

أو هذه القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها .

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع

ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعنى إلى غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق . وهي شروط صفاء العيش في حكمة هذا الحكيم ، أو في شعور هذا الإنسان .

وندع الشعر إلى الغناء والموسيقى ، وقد يخلوان من اللفظ ولا يخلوان من التفكير .

فنشيد الرعاة وجدان .

وألحان فاجنر وجدان .

ولكن الفرق بين الوجدانين كأبعد فرق بين شيئين يوجدان في طبيعة إنسان .

* * *

ومن الحقائق التي تحضر في هذا السياق أن نقص الفكر ليس بزيادة في الحس والوجدان ، وأن زيادة الفكر لا تمنع الإنسان أن يحس وأن يتسع وجدانه لأوسع آفاق الحياة .

فقد ينقص فكر الإنسان وينقص حسه على السواء ، ومزية الإنسان دائماً أن يحس أنه يفكر وأن يفكر أنه يحس ، وأن يكون نصيبه من الإنسانية على قدر نصيبه من الفكر والإحساس ، فليس هو بإنسان كامل إذا خلا من التفكير ، ولا يكون الأدب كاملا وهو يعبر عن إنسان ناقص في ألزم مزاياه

* * *

وللأدب بحوث غير بحوث العلم والدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية .

فهل تحسب هذه من الأدب أو لا تحسب منه لأنها تحتاج إلى التفكير ؟ وهل يمكن أن يتم بحث بغير تفكير ولو كان من البحوث في الشعر والإحساس ؟

فالبحوث الأدبية أدب وليست علماً بالمعنى المعروف للعلوم التجريبية ، لأن البحوث العلمية تتفق في النتيجة ولو جرت على أيدي مئات من العلماء . وقد يبحث ألف ناقد في ديوان واحد ثم يخرجون منه وكل منهم بنقض أقوال الآخرين أو لا يلتقي بهم في موضع لقاء . وإنما يفعلون ذلك لأن الباحث منهم يعتمد في فهم المعنى على مرجعه من الإحساس ، فيفهم الإحساس على وجه ويفهمه غيره على وجوه . ولا يقال من أجل ذلك إنهم ينبغي ألا يفهموا أو لا يفكروا لأنهم يحسون !

وبعد ، فإن الإحساس طبقات وليس بطبقة واحدة بين جميع الناس .

وكل طبقة من هذه الطبقات فهي لغز مغلق بالنسبة إلى من يقفون دونها ولا يرتفعون إليها ، فإذا عبر أحد منها عن شعوره ولم يفهمه الذين يقصرون عنها ويهبطون دونها فليس ذلك بمخرجه من أفق الشعور الذي هو فيه ، ولكنه يخرجهم هم من ذلك الأفق الرفيع .

ولعلنا بحاجة إلى التنبيه إلى سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ممن لا يحسون ولا يفكرون ، وهي اعتقادهم أن الإحساس والتخنث مترادفان . ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس ، لأنه يحس في زعمه بمقدار ما يتراخى ويتخاذل ويئن وينوح !

وأحوج ما يحتاج إليه هؤلاء المتأنثون « مزعج » قوي ينقذهم من « فرط الإحساس » على مذهبهم الذي لا فرق فيه بين فرط إحساسهم وبين الموت ... أو الإغماء على أهون تقدير :